

تفسير

الفاتحة وقصار المفصل

تصنيف

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله خلق كلَّ شيءٍ فقدره تقديرًا، وأنزل الكتاب ليكون
للعالمين نذيرًا، وصلى الله على عبده ورسوله محمدٍ المبعوث داعيًا
إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.
أمَّا بعد:

فإنَّ معرفةَ معاني كلام الله، والإشرافَ على مكنون هداة،
هي أولى ما أدامن فيه النظر، وحُرِّكت نحوه الفكر، فبه تُحصِّل
النُّفوس راحتها، وتحوز القلوب طمأنينتها.

ألا وإنَّ قِصار مفصِّله اللطيف، من الضُّحى إلى آخر
المُصحف الشريف، محلُّ عناية جمهور المسلمين حفظًا؛ لقِصر
آياتها، وعدوبة سياقها، ولكلِّ فضائل مخصوصة، ومقاصدُ
منصوصة، فهي حقيقةٌ بالتَّفهُم، وجديرةٌ بالتَّعَلُّم.

وهذا تفسيرٌ مختَصَرٌ للسُّور المذكورة، يَقْرُب تناوُلُه، وَيَسْهَلُ
تأمُّلُه، قَيَّدَتْه راجيًا منفَعته التَّامَّة، وملتمسًا بركته العامَّة، مستفتحًا
بتفسير الفاتحة لما لها من مقامٍ عظيم، ومنزلٍ كريم.

والله أسألُ السَّلامةَ من الزَّلَل، واتقاءَ سوء القول والعمل.

تفسير سُورَةِ الْفَاتِحَةِ

عن أبي سعيد ابن المُعلّى رضي الله عنه قال: كنتُ أصلي فدعاني النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فلم أُجِبْهُ، قلتُ: يا رسولَ الله إني كنتُ أصلي، قال: «ألم يقلِ الله: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]»، ثم قال: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد»، فأخذ بيدي، فلَمَّا أردنا أن نخرج قلتُ: يا رسولَ الله! إنك قلتَ: «لأعلمنَّكَ أعظم سورة من القرآن»، قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ * [الفاتحة: ٢]، هي السَّبْعُ المثاني، والقرآنُ العظيمُ الذي أوتيته». رواه البخاريُّ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله تعالى: قسمتُ الصَّلَاةَ بيني وبين عبدِي نصفين، ولعبدِي ما سأل، فإذا قالَ العبدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ *»، قالَ اللهُ تعالى: حمَدني عبدِي، وإذا قالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ *»، قالَ اللهُ تعالى: أثني عليَّ عبدِي، وإذا قالَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ *»، قالَ: مجَّدني عبدِي، - وقالَ مرَّةً: فَوَّضَ إليَّ عبدِي -، فإذا قالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ *»، قالَ: هذا بيني وبين عبدِي،

ولعبي ما سأل، فإذا قال: ﴿هَدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ * ﴿٦﴾، قال: هذا لعبدي، ولعبي ما سأل». رواه مسلم.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿١﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾
مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ هَدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة: ٢-٧]

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أقرأ القرآن، فمقصود المَبْسَمِل في فاتحة القراءة هو بسم الله الرحمن الرحيم أقرأ.

والاسم الأحسن (الله) عَلَّمَ على ربنا ﷻ، ومعناه: المألوه المستحق لإفراده بالعبادة، و﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ اسمان من أسمائه تعالى، دالَّان على رحمته؛ فأولُّهما دالٌّ عليها حال تعلُّقها به في سعتها، والآخر دالٌّ عليها حال تعلُّقها بالخلق في وصولها إليهم.

وأول هذه السورة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فالحمد هو الإخبار عن محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه، و﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ اسمٌ إضافيٌّ، فالرب في كلام العرب: المالك، والسَّيِّد، والمصلح للشيء، والعالمين جمع عالم، وهو اسمٌ

للأفراد المتجانسة من المخلوقات، فكلُّ جنسٍ منها يُطلق عليه عالمٌ، فيقال: عالمُ الإنس، وعالمُ الجنِّ، وعالمُ الملائكة.

وربوبيته ﷻ لم تُنتج ظلمًا، بل مضمونها العناية بالخلق ورحمتهم، ولهذا وصف نفسه بقوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢) فهو رحمنٌ وسِعَتْ رحمتهُ جميعَ الخلق، رحيمٌ يُوصِلُ رحمتهُ إليهم.

ثمَّ أكَّد ربوبيته بقوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٣)، وهو يومُ الحساب والجزاء على الأعمال، الَّذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾ [الأنفطار: ١٧-١٩]، وهو يومُ القيامة، وخصَّه بالذكر؛ لأنَّه يَظْهَرُ فيه للخلق كمالُ ملكِ الله تمام الظُّهور، لانقطاع أملاك الخلائق؛ وإلَّا فهو مالك يوم الدين وغيره من الأيام.

وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥)؛ أي نخصُّك وحدك بالعبادة، ونستعين بك وحدك في جميع أمورنا، وعبادة الله: تألُّه القلب له بالحبِّ والخضوع، والمأمور به فيها امتثال خطاب الشرع، والاستعانة به هي طلب العبدِ العونَ منه في الوصول إلى المقصود.

ثم قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؛ أي دُلِّنا وأرشدنا إليه، وثبتنا عليه حتى نلقاك، وهو الإسلام، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ المتبعين للإسلام الذي جاء به النبي ﷺ، ﴿غَيْرِ﴾ صراط ﴿الْمَعْضُوبِ﴾ الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به، وهم اليهود، ومن عدل عن الصراط المستقيم من هذه الأمة عن علم ففيه شبه منهم، ﴿وَلَا﴾ صراط ﴿الضَّالِّينَ﴾ الذين تركوا الحق عن جهل فلم يهتدوا وضلُّوا الطريق، وهم النصارى، ومن عدل عن الصراط المستقيم من هذه الأمة عن جهل ففيه شبه منهم.



تفسير سُورَةِ الضُّحَى

عن جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ رضي الله عنه قَالَ: اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرِيبَكَ مِنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَالضُّحَى﴾ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣). مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالضُّحَى﴾ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَكَأْوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)

أقسم الله تعالى بالضُّحَى، وهو اسم ضوء الشمس إذا أشرق وارتفع، والمراد به هنا النهار كله، وباللَّيْلِ إذا سكن بالخلق وثبت ظلامه = على اعتنائه برسوله ﷺ، فقال جوابًا للقسم: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾؛ أي ما تركك ربُّك، وما أبغضك بإبطاء الوحي وتأخيره عنك.

وهذا له من ربّه في الدُّنيا؛ ثمّ بشّره بما له في الآخرة فقال: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ فللدار الآخرة خيرٌ لك من دار الدنيا، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ من مظاهر الإنعام ومقامات الإكرام في الآخرة ﴿فَرَضَى﴾، وإلى هنا تمّ جواب القسم بمُثْبِتَيْنِ بعد منفيّين.

ثمّ شرع يُذكّره بما امتنّ به عليه في الدُّنيا فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ استفهامٌ تقريرٍ؛ أي وجدك ﴿يَتِيمًا﴾ لا أمٌّ لك ولا أب، بل مات أبوه وهو حَمْلٌ، وماتت أمّه وهو صغيرٌ لا يقدر على القيام بمصالح نفسه، ﴿فَقَاوَى﴾ بأن ضمّك إلى من يكفُّك، وجعل لك مأوىً تأوي إليه، فكفّله جدّه عبد المطلب، ثمّ لَمَّا مات كفّله عمّه أبا طالب، حتّى أيّده بنصره وبالمؤمنين.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، ﴿فَهَدَى﴾: فدلّك وأرشدك، وأنزل عليك الكتاب والحكمة، وعلمك ما لم تكن تعلم.

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ فقيرًا ﴿فَأَغْنَى﴾ بما ساق إليك من الرزق، وقنّعك به.

ومن آواك وهداك وأغناك فحقّه مقابلة نعمته بالشكر، ومنه ما ذكره الله ﷻ في قوله: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾؛ أي لا تغلبه مُسيئًا

معاملته، ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ﴾ عن دَيْنٍ أو دنيا ﴿فَلَا نَنْهَرُ﴾ ؛ أي تزجر، بل اقض حاجته أو رده برفق، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ مخبراً عنها، فَإِنَّ التَّحَدُّثَ بنعمة الله، داعٍ لشكرها، وسببٌ في محبة القلوب لمن أسداها، فَإِنَّ القلوب مجبولةٌ على محبة المحسن إليها.



تفسير سُورَةِ الشَّرْحِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ ﴿وَزَرَكَ﴾ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (٣) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿يُسْرًا﴾ (٤) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿يُسْرًا﴾ (٥) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿فَانصَبْ﴾ (٦) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿فَارْغَب﴾ (٧) ﴿٨﴾

يقول الله تعالى - ممتنًا على رسوله ﷺ -: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ استفهام تقرير؛ أي شرحنا صدرك للإسلام، وهو ناشئ عن شرح صدره الحسي، الذي وقع مرتين أولاهما في صغره لما كان مسترضعًا في بني سعد، والثانية ليلة أُسري به في مكة بين يدي الإسرائاء رواهما مسلم، ووافقه البخاري في الثانية.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ﴾ أي حَطَطْنَا ﴿عَنكَ وَزَرَكَ﴾ وهو الذنب، ﴿الَّذِي أَنْقَضَ﴾ أي أَثْقَلَ ﴿ظَهْرَكَ﴾.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ فأعلينا قدرَكَ، وجعلنا لك الثناء الحسن، بما أشاع الله من محاسن ذكره بين الناس، وبما نزل من القرآن ثناءً عليه وكرامةً له، وبإلهام الناس التحدث بما جبله الله عليه من المحامد في أول نشأته، ومن أعظم ذلك أن الله قرَنَ ذكره بذكره

في الشَّهادتين، وله في قلوب أُمَّته من المحبَّة والتَّعظيم بعد الله تعالى ما ليس لأحدٍ سواه.

وقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ وهو الشَّدة ﴿يُسْرًا﴾ أي سهولةً، والفاء فيه فصِيحةٌ، تُفصح عن كلامٍ مقدَّر يدلُّ عليه الاستفهام التَّقريريُّ هنا، أي إذا علمتَ هذا وتقرَّر؛ فاعلم أنَّ اليسرَ مصاحبٌ للعسر، فالعسر الَّذي عَهِدْتَه وعلمتَه سيُجعله الله يسرًا، والتَّنكير للتَّعظيم، وفي تكرارها بقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ تأكيدٌ لتحقيق أطراد هذا الوعد وعمومه.

ثمَّ أمر الله رسوله ﷺ بشكره، والقيام بواجبِ نِعَمه، فقال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾؛ أي إذا فرغتَ من عملٍ بإتمامه؛ فأقبلْ على عملٍ آخر؛ لتعمُر أوقاتك كلَّها بالأعمال الصَّالحة، ﴿وَلِلَّهِ رِيكُ فَارْغَبْ﴾ فأعظم الرَّغبة إليه في مُراداتك مقبلاً عليه.



تفسير سُورَةِ التِّينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ (١) وَطُورِ سَيْنِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ (٨)

أقسم الله بالشَّجَرَتَيْنِ المعروفَتَيْنِ التِّينِ والزَّيْتُونِ فقال: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾، مُرِيدًا مَنَابِتَهُمَا وَهِيَ أَرْضُ الشَّامِ، ثُمَّ أَقْسَمَ بِجَبَلِ سَيْنَاءَ فقال: ﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ وهو الجبل الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ فِيهِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، و«سَيْنِينَ» لُغَةٌ فِي سَيْنَاءَ، وَهِيَ صَحْرَاءٌ بَيْنَ مِصْرَ وَبِلَادِ فَلَسْطِينَ، ثُمَّ أَقْسَمَ أُخْرَى فَقَالَ: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ وهو مَكَّةُ الْمُكْرَّمَةُ لِأَمْنِ النَّاسِ فِيهَا، وَالْإِشَارَةُ إِلَيْهِ لِلتَّعْظِيمِ، وَلَأَنَّ نَزُولَ السُّورَةِ وَاقِعٌ فِيهِ، وَهَذِهِ الْمَوَاضِعُ هِيَ مَوَاطِنُ أَكْثَرِ الْأَنْبِيَاءِ، فَهِيَ أَرْضُ النَّبَوَاتِ وَمَهْبِطُ الرِّسَالَاتِ.

ثُمَّ ذَكَرَ جَوَابَ الْقِسْمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ فَسَوَّاهُ اللَّهُ وَعَدَلَهُ، وَفَطَرَهُ عَلَى تَوْحِيدِهِ، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ

سَفِيلِينَ ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِنْ كَفَرُوا﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
فَإِنَّهُمْ لَا يُرَدُّونَ إِلَيْهَا، بَلْ جَزَاءُؤُهُمْ مَا أَخْبَرَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ
غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾؛ أَي لَّهُمْ أَجْرٌ لَا يَشُوْبُهُ كَدَرُ الْمَنِّ، وَلَا يَلْحَقُهُ
الانْقِطَاعُ، وَذَلِكَ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ، ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدُ بِالَّذِينَ﴾ وَهُوَ
الْحِسَابُ وَالْجَزَاءُ عَلَى الْأَعْمَالِ، فَأَيُّ شَيْءٍ يَجْعَلُكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
مَكْذِبًا بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْمَنَاهِجِ، وَمَا بَشَّرَتْ بِهِ
وَأَنْذَرَتْ مِنَ الْجَزَاءِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَنْتَ قَدْ خُلِقْتَ فِي أَحْسَنِ
تَقْوِيمٍ، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ فِي الْفَضْلِ وَالْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ
مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ وَمَنْ كَفَرَ؟!



تفسير سُورَةِ الْعَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ
لِطَغَى ﴿٦﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَغَى ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا
إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ
وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ
خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فليَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا نُطِيعُه وَأَسْجُدُ وَأَقْرَبُ
﴿١٩﴾

صَدْرَ هَذِهِ السُّورَةِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ هُوَ
أَوَّلُ الْقُرْآنِ نَزُولًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ وَكَانَ ذَلِكَ فِي غَارِ جَبَلِ
حِرَاءٍ بِمَكَّةَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَتَعَبَّدُ فِيهِ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ، فَجَاءَهُ جَبْرِيلُ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: اقْرَأْ، فَقَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَهُ
فغَطَّه حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَهُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقَالَ: مَا أَنَا
بِقَارِئٍ فَأَخَذَهُ فغَطَّه الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَهُ، فَقَالَ:
اقْرَأْ، فَقَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَهُ فغَطَّه الثَّلَاثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ الْجَهْدَ

ثُمَّ أَرْسَلَهُ، فَقَالَ: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، ثَبَتَ هَذَا فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فَأَمَرَهُ فِي فَاتِحَتِهَا أَنْ يَقْرَأَ مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ، مُسْتَصْحِبًا الْفَهْمَ وَمِلَاحِظَةً جَلَالِهِ، مَا ذُونَا لَهُ، وَقِيلَ لَهُ: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾؛ أَيِ خَلَقِ الْخَلْقَ جَمِيعًا، وَمِنْهُمْ الْإِنْسَانُ، فَإِنَّهُ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ وَالْعَلَقَةُ هِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الدَّمِ الْغَلِيظِ، وَذَكَرُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالْقِرَاءَةِ: إِشَارَةٌ إِلَى الْأَمْرِ بِالْعِبَادَةِ، فَمَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانُ لَمْ يَكُنْ لِيَتْرَكَهُ سُدًى، بَلْ سَيَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ، وَذَلِكَ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الْمَتَّصِفُ بِغَايَةِ الْكَرَمِ، وَمَنْ كَرَّمَهُ رَبُّكَ أَنَّهُ هُوَ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ أَخْرَجَهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا، وَجَعَلَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفَوَادِ، فَعَلِمَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ مِنْ قَبْلُ، وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ عِلْمِهِ تَعْلِيمُهُ الْقَلَمَ، وَهُوَ الْخَطُّ وَالكِتَابَةُ.

وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ الظُّلُومَ الْجَهُولَ يَطْغَى مُتَجَاوِزًا حَدَّهُ، وَيُعْرِضُ عَمَّا أُمِرَ بِهِ وَنُهِيَ عَنْهُ، إِذَا رَأَى نَفْسَهُ غَنِيًّا بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاطِغٍ﴾ ﴿٢﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى﴾.

ثُمَّ تَهَدَّدَهُ وَتَوَعَّدَهُ فَقَالَ: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾؛ أَيِ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرِ وَالْمَرْجِعِ، وَسَيُجَازِي كُلَّ إِنْسَانٍ بِعَمَلِهِ.

ومن جنس الإنسان من تسوء حاله فيعارض الأمر والنهي فوق إعراضه عنه، كمن ينهى عن الصلاة التي هي من أفضل الأعمال، المذكور في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾، فتوعده الله بقوله: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أيها الناهي ﴿إِنْ كَانَ﴾ العبد المصلي ﴿عَلَى الْهُدَى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ﴾ غيره ﴿بِالتَّقْوَى﴾، أيستقيم أن ينهى من هذا وصفه؟! أَرَأَيْتَ أعجب من طغيان هذا الناهي!؟

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾ الناهي بالحق ﴿وَتَوَلَّى﴾ فأعرض عن الأمر والنهي، ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ عمله؟ فهو مَطْلَعٌ عليه محيطٌ به!، أفلا يخاف الله ويخشى عقابه!؟

ولئن لم ينزجر بالوعيد؛ فَلْيَسَعُهُ التَّهْدِيدُ إِنْ استمرَّ على حاله: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾ عما يقول ويفعل ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾؛ أي لنأخذن بनावيته - وهي مقدَّم شعره - أخذًا عنيفًا، فالسَّفع: القبض الشديد بجذب، واستحقَّته ناصيته لا تصافها بوصفين هما المذكوران في قوله: ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ فهي كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها، ﴿فَلْيَدْعُ﴾ هذا الأثيم ﴿نَادِيَهُ﴾ وهم أهل مجلسه؛ فإنَّا ﴿سَدْعُ الرِّبَانِيَةِ﴾ وهم ملائكة العذاب، ليأخذوه ويعاقبوه، سَمُوا زبانيةً لأنَّهم يَرْبُونَ أهل النَّار؛ أي يدفعونهم بشدة.

والآيات السابقة نزلت في شأن أبي جهل حين نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة وتهدده، روى الترمذي والنسائي في

«السَّنن الكبرى» بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يُصَلِّي عند المقام، فمر به أبو جهل بن هشام فقال: يا محمد، ألم أنهك عن هذا؟ وتوعَّده، فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره، فقال: يا محمد! بأي شيء تُهدِّدني؟ أما والله إنني لأكثرُ هذا الوادي ناديًا؛ فأنزل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ (١٧) سَدْعُ الرِّبَانَةِ، وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: لو دعا نادية لأخذته ملائكة العذاب من ساعته، وأصله في البخاريٍّ مختصرًا.

ولمَّا فرغ من وعيد النَّاهي وتهديده أتبعه بأمر المنهي - وهو العبد المصلِّي - أن لا يطيع ناهيه فقال: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ فيما ينهاك عنه، ثمَّ أمره بما فيه فلاحه فقال: ﴿وَأَسْجُدْ﴾ لربِّك ﴿وَأَقْرَبْ﴾ منه بالصَّلاة؛ فإنَّ العبدَ أقربُ ما يكون من ربِّه وهو ساجدٌ، ففي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أقربُ ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجدٌ؛ فأكثرُوا الدُّعاء».



تفسير سُورَةِ الْقَدْرِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

يُخبرنا الله ﷻ في هذه السُّورة عن إنزال القرآن، فيقول:
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي القرآن جُمْلَةً واحدةً، من اللُّوح المحفوظ إلى السَّماء الدنيا، وفي إسناد الإنزال إلى الله تشریفٌ عظيمٌ للقرآن، ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أي الشَّرَف العظيم، وهو اسمٌ جعله الله لليلة التي أنزل فيها القرآن، ولم تكن معروفةً عند المسلمين، فذكرها بهذا الاسم تشويقاً لمعرفةً لها، ولذلك أتبعه بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ فاستفهم عنها تفخيماً لشأنها، وتعظيماً لمقدارها.

قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أنزل القرآن جُمْلَةً إلى السَّماء الدنيا في ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة، قال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان: ٣٣)، وقرأ: ﴿وَقَرَأْنَا نَافِرَتَهُ لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ (الإسراء: ١٠٦). رواه النسائي في «السنن الكبرى»، وإسناده صحيح.

وهي ليلة مباركة من ليالي رمضان؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وسُميت ليلة القدر لشرفها، ولأنه يُقدَّر فيها ما يكون بعدها من المقادير كالأجال والأرزاق.

وفي تشریف زمانِ إنزاله تشریفُ ثانٍ للقرآن يُظهرُ علوَّ قدره عند الله تعالى.

ثم أخبر الله عن فضلها بقوله: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ فالقيام فيها إيماناً واحتساباً خيرٌ من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة قدر، ومجموع مدتها ثلاث وثمانون سنة، وأربعة أشهر.

وتلك الليلة هي في رمضان، وفي العشر الأواخر منه، وأرجاها: أوتارها، وهي باقية في كل سنة إلى قيام الساعة.

ثم ذكر الله فضلاً آخر لها في قوله: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ﴾ من السماء، ﴿وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ أي في تلك الليلة، والروح هو جبريل، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي بأمره ﴿مِّنْ كُلِّ أَمْرِ﴾ قضاء الله في تلك السنة إلى السنة التي بعدها، وتلك الليلة ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ أي سلامة، والسلامة تشمل كل خير يتصل، ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ فمبتدؤها: غروب الشمس، ومنتهاها: طلوع الفجر، وفي التعريف بمنتهاها حث على اغتنام فضلها قبل انتهاء وقتها.

تفسير سُورَةِ الْبَيِّنَةِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ① رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ② فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ③ وَمَا نَفَرَكَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ④ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ⑤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ⑥ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ⑦ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ⑧﴾

كان كفار أهل الكتاب يقولون: سيُبعث فينا رسولٌ، وكان المشركون يقولون لهم إذا دعوهم إلى اتباع اليهودية أو النصرانية: لم يأتنا رسولٌ كما أتاكم، فأخبر الله في هذه السورة عن قولهم موبِّحًا، فقال: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ﴾ عن كفرهم؛ أي زائلين عما هم عليه، تاركين له، ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ وهي الحجة الواضحة التي

وَعِدَ بِهَا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فِي كُتُبِهِمْ ، وَتَلَقَّيْنَاهَا عَنْهُمْ الْمَشْرُوكُونَ ، ثُمَّ فَسَّرَ تِلْكَ الْبَيِّنَةَ فَقَالَ : ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ ﴿١﴾ وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، الَّذِي يَتْلُو مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي صَحْفٍ مُّطَهَّرَةٍ ، مَنْزَهَةٌ عَنِ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ ، وَهِيَ صَحْفُ الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ، وَمَتَلَّوْا النَّبِيَّ ﷺ مِنْهَا هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ، وَتِلْكَ الصُّحُفُ ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ ﴿٢﴾ أَيُ مُسْتَقِيمَةٍ ، وَهِيَ الْكُتُبُ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ مَعَ النَّبِيِّينَ ، قَالَ اللَّهُ ﷻ : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ ﴿البقرة: ٢١٣﴾ ﴿٣﴾ .

ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ سَبَبِ كُفْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَالَ : ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ﴿٤﴾ ، وَهَذِهِ الْبَيِّنَةُ هِيَ بَيِّنَةُ أُخْرَى غَيْرُ الْأُولَى ، فَالْبَيِّنَةُ هُنَا الْحُجُجُ وَالْآيَاتُ الَّتِي جَاءَتْهُمْ مِنْ قَبْلِ ، فَاخْتَلَفُوا فِيهَا وَتَفَرَّقُوا عَنْهَا ، فَهِيَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٥] .

وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ هَذَا الرَّسُولُ إِلَّا بِمَا أَمَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ فِي كُتُبِهِمْ : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿٥﴾ ؛ أَيُ قَاصِدِينَ بَعِبَادَتِهِمْ وَجْهَهُ ، فَالْإِخْلَاصُ هُوَ تَصْفِيَةُ الْقَلْبِ مِنْ إِرَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ ، ﴿حُفَفَاءَ﴾ ﴿٦﴾ مُقْبِلِينَ عَلَيْهِ مَائِلِينَ عَمَّا سِوَاهُ ، ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ ﴿٧﴾ ، وَخَصَّصَهُمَا بِالذِّكْرِ لِفَضْلِهِمَا وَشَرَفِهِمَا .

﴿وَذَلِكَ﴾ المأمور به - من إخلاص الدين وإقامة الصلاة وأداء الزكاة - هو ﴿دِينُ الْقِيَمَةِ﴾؛ أي دين الكتب القيّمة، وهو الإسلام، فلا عُذر لهم في الإعراض عنه.

ثم ذكر جزاء الكافرين بعدما جاءتهم البيّنة، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾، والبرية: الخليقة.

وأتبعه بذكر جزاء مقابلتهم، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ﴾؛ أي جنّات إقامة، لا يتحوّلون عنها، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾؛ أي من تحت أشجارها وغرفها، على وجه أرضها في غير شقٍّ، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فرضي عنهم بما عملوا من طاعته، ورضوا عنه بما أثابهم به من النعيم المقيم، وإنَّ ﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء الحسن حقٌّ ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ فلا يناله إلا من كانت هذه صفته، والخشية خوفٌ مقرونٌ بعلم.



تفسير سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: نزلت ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قاعد فبكى أبو بكر، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا أبا بكر؟»، فقال: أبكتني هذه السورة، فقال رسول الله ﷺ: «لو أنكم لا تخطئون ولا تُذنبون لخلق الله تعالى أمة من بعدكم يخطئون ويذنبون فيغفر لهم». رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، وإسناده حسن.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْنَاا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾

ذكر الله تعالى ابتداء حال الأرض يوم القيامة فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، فَرُجَّتْ رَجًّا شَدِيدًا، ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ وهو ما تثقل به ممَّا في بطنها، فألقته على ظهرها، كما قال تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ (٤) [الانشقاق: ٤]، ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ﴾

مستعظماً حالها: ﴿مَا لَهَا﴾؛ أي ما الذي حدث لها؟ وما عاقبته؟
ولا تكون زلزلتها كلها إلا يوم القيامة، ﴿يَوْمَ يُنَادِيُ الْمَلَأُ الْأَرْضَ﴾ ﴿أَخْبَارَهَا﴾ فتُخبر بما عمل على ظهرها من خيرٍ وشرٍّ،
ذلك ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾؛ أي أمرها أن تُخبر به، فلا تعصي أمره.

﴿يَوْمَ يُنَادِيُ الْمَلَأُ النَّاسَ﴾ يُقبلون إلى الموقف والحساب
﴿أَشْنَاءًا﴾؛ أي أصنافاً متفرقين، ومقصود صرفهم: ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ فيريهم الله ما عملوا من الحسنات والسيئات، ويُجازيهم عليها، فلمحسنهم النعيم المقيم، ولمسيئهم العذاب الأليم.
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ وهي النملة الصغيرة ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾؛ أي يره وير ثوابه في الآخرة، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾؛ أي يره وير عقابه فيها.

وروى النسائي في «السُّنن الكبرى» عن صَعْصَعَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ، قَالَ: مَا أَبَالِي إِلَّا أَسْمَعَ غَيْرَهَا، حَسْبِيَ حَسْبِي، وإسناده صحيح.



تفسير سُورَةِ الْعَادِيَّاتِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالْعَادِيَّتِ صُبْحًا﴾ (١) ﴿فَالْمُورِبَتِ قَدَحًا﴾ (٢) ﴿فَالْمُغِيرَتِ صُبْحًا﴾ (٣) ﴿فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا﴾ (٤) ﴿فَوْسَطَنَ بِهِ جَمْعًا﴾ (٥) ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ (٦) ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ (٧) ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (٨) ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ (٩) ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ (١٠) ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ (١١) ﴿

أقسم الله تبارك وتعالى بالخيال الجارية في سبيل الله، فقال: ﴿وَالْعَادِيَّتِ صُبْحًا﴾ أي العاديات عدوًا بليغًا قويًا، يصدر عنه الضُّبْح، وهو صوت نفسها في جوفها، عند اشتداد عدوها، ﴿فَالْمُورِبَتِ﴾ الموقدات بحوافرهنَّ ما يَطَّأْنَ عليه من الأحجار ﴿قَدَحًا﴾، فتَقْدَح النَّار ويتوقد شررها من ضرب حوافرهنَّ إذا عَدُون، ﴿فَالْمُغِيرَتِ﴾ المباغيات الأعداء بما يُكره ﴿صُبْحًا﴾؛ فإنَّهم كانوا لا يُغيرون على القوم إذا غزوا إلَّا بعد الفجر، فتكون الغارة صباحًا، ﴿فَأَثَرُنَ بِهِ﴾ أي هيَّجَنَ وأصعدنَ بعدوهُنَّ وغارتِهِنَّ ﴿نَقْعًا﴾ وهو الغبار، ﴿فَوْسَطَنَ بِهِ﴾ أي تَوَسَّطَنَ براكبهنَّ ﴿جَمْعًا﴾ وهم الأعداء الذين أُغِير عليهم.

والقسم بالخيال على تلك الأوصاف لأجل التَّهويل، وترويع المشركين بما أُعدَّ لهم من الجهاد وآلته.

وجواب القسم هو قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾؛ أي لكفوراً لنعمة ربّه، ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي الإنسان ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ الكفر ﴿لَشَهِيدٌ﴾ في فَلَاتٍ أقواله وأفعاله، فيبدو منها على لسانه وفي تصرفاته ما يتضمَّن الشَّهادة على نفسه بكفر نعمة ربّه، ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي الإنسان ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ وهو المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾؛ أي كثير الحبِّ له، وحبُّه إيَّاه حمله على البخل به، فصيرَه كفوراً.

ولهذا قال الله تحذيراً له وتخويفاً: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ هذا الكفور عن عقابه ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ أي أُثيرَ ما فيها، وأخرج الله الأموات منها، ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ فُجِّعَ وأُحصي ما فيها من كمائن الخير والشرِّ، ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ أي مُطَّلِعٌ على أعمالهم، ومجازيهم عليها، وَخَصَّ خُبْرَهُ بيوم القيامة حين تُبْعَثُ القبور ويُحْصَل ما في الصُّدُور، مع أنه خبيرٌ بهم في كلِّ وقتٍ؛ لأنَّ المراد: الجزاء بالأعمال النَّاشئُ عن علم الله بهم وإطلاعه عليهم.



تفسير سُورَةِ الْقَارِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ
النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥﴾
فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ ٨﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهٗ ١٠﴿ نَارٌ
حَامِيَةٌ ١١﴾

الْقَارِعَةُ من أسماء يوم القيامة؛ لأنها تَفْرَعُ قلوب الناس
وتزعجهم بأحوالها، ولهذا عَظُم شأنها وهول أمرها بقوله:
﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣﴾؛ فأي شيء هي
هذه القارعة؟ وأي شيء أعلمك بها؟، ثم أخبر عنها فقال: ﴿يَوْمَ
يَكُونُ النَّاسُ﴾ من شدة الفزع والهول، ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ أي
المنتشر، والفراش: فَرْخُ الجراد حين يخرج من بيضه يركب بعضه
بعضاً، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ
مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ أي الصُّوف
﴿الْمَنْفُوشِ﴾ المتمزق الذي فُرِّقَتْ بعض أجزائه عن بعض.

وفي ذلك اليوم تُنصب الموازين، ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ برُجحان حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾؛ أي حياة مرضية في جنّات النعيم، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن لم تكن له حسنات تُقاوم سيئاته، ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ أي مأواه ومسكنه النار، تكون له بمنزلة الأم التي يأوي إليها ويلزمها؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]؛ أي ملازمًا أهلها، وعظّم أمرها فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾، ثم فسرها بقوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾؛ أي شديدة الحرارة، من الوقود عليها، وصحّ في الحديث أنّ حرارتها تزيد على حرارة نار الدنيا سبعين ضعفًا.



تفسير سُورَةِ التَّكْوِيْنِ

عن عبد الله بن الشَّخِير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي! مَالِي!»، قَالَ: «وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ؟!، أَوْ لَبِستَ فَأَبْلَيْتَ؟!، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ?!». رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَخْشَى عَلَيْكُمُ الْفَقْرَ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمُ التَّكَاثُرَ، وَمَا أَخْشَى عَلَيْكُمُ الْخَطَأَ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمُ الْعَمْدَ». رواه أحمد، وإسناده صحيح.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)﴾

يقول الله تعالى موبِّخًا المشركين ومحذِّراً عباده المؤمنين:

﴿الْهَنَكُمُ﴾؛ أي شَغَلَكُم عَمَّا خُلِقْتُمْ لَهُ - وهو عبادة الله - ﴿التَّكَاثُرُ﴾ بينكم، وهو التَّفَاخُرُ بالكثرة فيما يُرْغَب فيه من الدُّنْيَا كَالنِّسَاءِ، وَالْبَنِينَ، وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَالْخَيْلِ

المسؤومة، والأنعام، والحرث، وحذف المُتكاثر به ليشمل كل ما يُكاثر به، ولم تزالوا على تلك الحال ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ بأن مُتُّم فُذِفْتُمْ فيها وصِرْتُمْ إليها، وإنما جعل المُقام في البرزخ زيارة؛ لأنَّ المقصود منه: النُّفوذ إلى الدَّار الآخرة، فجعلهم الله زائرين لا مقيمين، والبعث والجزاء يكونان في تلك الدَّار، ولهذا توَعَّدَهم بقوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿سوء عاقبة تكاثركم، وتشاغلكم عن عبادة ربِّكم، وكرَّر الجملة مبالغة في التَّهديد، وزيادة تأكيد في تحقُّق الوعيد.﴾

ثُمَّ زجرهم عن غيِّهم مرَّةً أخرى فقال: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾؛ أي لو تعلمون علماً ثابتاً في القلب ما تستقبلون بعد الموت؛ لما ألهاكم التَّكاثر عن عبادة الله.

ثُمَّ أقسم الله فقال: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ والجملة جواب قسم محذوف، تقديره: والله لتروُنَّ الجحيم التي أعدَّها الله للكافرين، ثُمَّ أَكَّد القسم بقسم آخر فقال: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾؛ أي عياناً بأبصاركم؛ وذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ ﴿٧٦﴾ [مريم: ٧٦]، فإذا رأيتموها سُئِلْتُمْ حينئذٍ عن النِّعيم؛ وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾؛ أي فَلَيْسَ أَلَنَّا لَكُمْ اللهُ عَمَّا تَنْعَمْتُمْ بِهِ في دار الدنيا، أشكرتم أم كفرتم؟

عن عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه، عن أبيه قال: لما نزلت: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ، قال الزبير: يا رسول الله، وأي النعيم نُسأل عنه، وإنما هما الأسودان التمر والماء؟! قال: «أما إنه سيكون». رواه الترمذي بسند حسن.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟!» قالا: الجوع يا رسول الله، قال: «وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا»، فقاموا معه فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رآته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أين فلان؟» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه، ثم قال: الحمد لله، ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني، قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب، فقال: كلوا من هذه وأخذ المديّة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياك والحلوب»، فذبح لهم، فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق، وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم». رواه مسلم.

تفسير سُورَةِ الْعَصْرِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾

استفتح الله هذه السُورة بالقسم فقال: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ وهو الوقت المعروف آخر النهار قبل غروب الشمس؛ والمقسم عليه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ فكلُّ الناس في خُسْرٍ؛ أي هَلَكَةٍ ونقصانٍ، ثم استثنى من الخُسْر الذين اتَّصفوا بأربع صفاتٍ هي المذكورة في قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. فالصفة الأولى: الإيمان، وإنَّما يُدرَك أصله وكماله بالعلم.

والثانية: العمل الصالح.

وبهما يُكَمِّل الإنسان نفسه.

والثالثة: التَّوَّاصِي بِالْحَقِّ، يأمر بعضهم بعضاً به.

والرَّابعة: التَّوَّاصِي بِالصَّبْرِ على أمر الله.

وبهما يُكَمِّل الإنسان غيره.

تفسير سُورَةِ الْهُمَزَةِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩) ﴿

هذه السورة مستفتحة بالوعيد، ففاتحتها: ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة وعيد وتهديد، تتضمن الدعاء عليه بسوء الحال؛ لتعديتها باللام في قوله: ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، فتقدير الكلام: ويلٌ له، وهو الذي يهزم الناس بفعله، ويلمزهم بقوله، فالهمّاز: من يعيب الناس، ويطعن عليهم بالإشارة، واللاماز: من يعيبهم بقوله. والهمزة واللمزة والهمّاز واللامّاز للمبالغة.

ومن صفته حرصه على جمع المال وتعديده، فذكره الله به فقال: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾، وهو لشدة ولعه بماله ﴿يَحْسَبُ﴾ لجهله ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ فأبقاه في الدنيا؛ لأنّ الخلود فيها أقصى أمانيه؛ إذ لا يؤمن بحياة أخرى.

ثمَّ توعَّده الله بأنَّ الأمر على خلاف ظنِّه، فما ماله بمخلَّده، وإنَّ الله معاقِبُه، فقال: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ﴾ وهو جواب قسم محذوف؛ أي والله ليُطرحَنَّ ﴿فِي الْحُطْمَةِ﴾ التي تحطَّم ما يُلقى فيها وتهشمه، ثمَّ هَوَّل شأنها وعظَّمه في قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ﴾، ثمَّ فسَّرها بقوله: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾؛ أي المُسَعَّرَةُ المُشْعَلَةُ بالنَّاس والحجارة، ﴿الَّتِي﴾ من شدَّتْها ﴿تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ فتنفذ من الأجساد إلى القلوب فتُحرِّقُها، وألمَّ حرقِ القلوب أشدَّ من ألم غيرها لِلطفها.

وأهلها محبوسون فيها، قد أيسوا من الخروج منها، لما أخبر الله عنه بقوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾؛ أي مُغْلَقَةٌ عليهم، وهم يُعَذَّبون فيها ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ أي أعمدةٍ طويلةٍ.



تفسير سُورَةِ الْفِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (١) ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ (٢) ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ (٣) ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ (٤) ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ (٥)

ذكر الله تعالى في هذه السورة خبر أصحاب الفيل، وباشر بالمخاطبة بها الرسول ﷺ تقوية له وتشبثاً؛ بإظهار قدرة ربّه الذي أرسله؛ فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (١) ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ وهو استفهامٌ تقريرى؛ أي أما علمت كيف فعل ربُّك بأصحاب الفيل؟، الذين كادوا بيته وأرادوا هدمه، فجعل سعيهم وما دبّروه من شرٍّ في تضليلٍ؟! وهم الحبشة الذين جاؤوا مكّة غزاةً مضمرين هدم الكعبة؛ انتقاماً من العرب، فإنّ ملكهم أبرهة بنى كنيسة عظيمة سمّاها (القليس)، وأراد أن يصرف حجّ العرب إليها، فجاء رجلٌ منهم فأحدث فيها تحقيقاً لها؛ ليتسامع العرب بذلك فتّهونَ عليهم، فغضب أبرهة وعزم على غزو مكّة ليهدم الكعبة، فجهّز جيشاً عظيماً لا قبل للعرب به، واستصحب

معه الفيل لهدمها، فلما وصلوا قُرب مَكَّة، خرج أهل مَكَّة منها خوفاً على أنفسهم، فحبس الله الفيل ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾؛ أي جماعاتٍ متتابعةً متفرقةً، ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ تقذفهم بحصى صغيرة من سجيلٍ وهو الطين المتحجر، ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾؛ أي محطمين كبقايا الزرع الذي دخلته البهائم فأكلته، وداسته بأرجلها، وطرحته على الأرض، بعد أن كان أخضر يانعاً، وكان هذا عام مولد النبي ﷺ.



تفسير سُورَةِ قُرَيْشٍ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ (١) إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)﴾

هذه السُّورة مفردة في قبيلة النَّبِيِّ ﷺ تعظيماً له ولهم، والجارُّ والمجرور في صدرها ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ﴾ متعلق بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾، ودخلت عليه الفاء لما في الكلام من إرادة الشَّرْط؛ إذ معناه: إِنَّ نعم الله عليهم لا تُحصى، فإن لم يعبدوه لأجل ربوبيته الْمُظْهَرَة بنعمه فليعبدوه لأجل إِيْلَافِهِمْ؛ أي ما لزموه واعتادوه مع الأنس به، ثم فسره بقوله: ﴿إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾، وهي رحلة تجارتهم في الشتاء لليمن، وفي الصيف للشَّام.

وأخر ما أمرهم به اعتناء بما قدَّم فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾، وخصَّه بالربُّوبية لفضله وشرفه، ثم أبرز بعض ما طواه قبل من نعمه عليهم الموجبة عبادته فقال: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ فرزقهم من الثَّمرات، وهياً لهم أسباب التَّجارات،

﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ فصير بلدهم حرماً آمناً، وأعظم قدرهم عند الخلق فلا يتعرض لهم أحدٌ بسوءٍ؛ لأنَّهم جيران الكعبة المعظمة.

فانتظام سياق معانيها في وضع الكلام: لَتَعْبُدُ قَرِيشُ رَبَّ هَذَا البيت؛ لِمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ فِي رَحَلَةِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَأَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ.



تفسير سُورَةِ الْمَاعُونِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ
الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ
هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ
الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

يقول تعالى في ذم من ضيع حقه وحقوق عباده: ﴿أَرَأَيْتَ
الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ وهو الحساب والجزاء على الأعمال،
والاستفهام للتعجب من حالهم، وما أورثهم تكذيبهم من سوء
الصنيع، ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾؛ أي فهو ذلك الذي يدفع
اليتم بعنفٍ وشدة، ويمنعه حقه؛ لغلظة قلبه، وتكذيبه جزاء ربّه،
﴿وَلَا يَحْضُ﴾ غيره - والحض: الحث - ﴿عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾،
وأحرى به أنه لا يطعمه بنفسه؛ لمحبتة المال وبخله به.

ثم توعّد صنفاً من المصلين هم المنافقون، فقال: ﴿فَوَيْلٌ
لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾؛ أي لاهون، فلا يُؤدونها
في وقتها، ولا يقيمونها على وجهها.

وفي «صحيح مسلم» عن أنس بن مالك قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «تلك صلاةُ المنافقِ: يجلسُ يرقُبُ الشَّمْسَ، حتَّى إذا كانتَ بينَ قرني الشَّيطانِ؛ قامَ فنقرها أربعًا، لا يذكرُ اللهَ فيها إلَّا قليلًا».

والسَّهو عن الصَّلَاةِ هو المُستشَنع المذموم، وأمَّا السَّهو فيها فيقع من كلِّ أحدٍ؛ لأنَّه واردٌ قلبيٌّ لا اختيارَ للعبد فيه.

ثمَّ وصفهم بالرياء والحرصِ على الدُّنيا، فقال: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ فيُظهرون أعمالهم الصَّالحة ليراها النَّاسُ؛ فيحمدوهم عليها، ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ أي يمنعون النَّاسَ منافعَ ما عندهم، كالزَّكاةِ وما لا تضرُّ إعارته، ممَّا يُستعان به على عمل البيت من آنية وآلة؛ ومنها القدر والدُّلو وما جرت العادة ببذله؛ لشدة حرصهم على الدُّنيا وشحِّهم بها، فلا هم أحسنوا عبادة ربِّهم، ولا هم أحسنوا معاملة خلقه.



تفسير سُورَةِ الْكَوْثَرِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾

امتنَّ اللهُ ﷻ على نبيه مُحَمَّدٍ ﷺ فقال له: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ وهو نهرٌ في الجنة، ومنه يشُخَبُ ميزابانِ يُصْبَّانِ في حوضِ النَّبِيِّ ﷺ في عَرَصَاتٍ يومَ القيامة.

وفي «صحيح مسلم» عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؛ إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتُ سُورَةِ»، فَقَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾»، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟»، فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرْدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فيقول: ما تدري ما أَدَّيْتُ بِكَ».

ولَمَّا ذَكَرَ مِنْتَهُ عَلَيْهِ، أَمَرَهُ بِشُكْرِهَا فَقَالَ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾؛ أَيِ اخْلُصْ صَلَاتَكَ كُلَّهَا لِرَبِّكَ، وَاجْعَلْ ذَبْحَكَ لَهُ وَعَلَى اسْمِهِ وَحْدَهُ، وَخَصَّ هَاتَيْنِ الْعِبَادَتَيْنِ بِالذِّكْرِ لِفَضْلِهِمَا، فَالصَّلَاةُ تَتَضَمَّنُ خُضُوعَ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ لِلَّهِ، وَالنَّحْرُ يَتَضَمَّنُ التَّقَرُّبَ إِلَيْهِ بِسَفْكِ الدَّمِّ مِنَ النَّحَائِرِ الْمَشْتَمِلِ عَلَى سَمَاحَةِ النَّفْسِ بِالْمَالِ.

ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ مِّنْتَهُ عَلَيْهِ أَيْضًا خَسَارُ شَانئِهِ فَقَالَ: ﴿إِيَّاكَ شَانِئُكَ﴾؛ أَيِ مَبْغُضِكَ ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الْمَقْطُوعُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.

وَرَوَى النَّسَائِيُّ فِي «السُّنَنِ الْكُبْرَى» عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ مَكَّةَ، قَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ: أَنْتَ خَيْرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَسَيِّدُهُمْ، قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الْمُنبِتِ مِنْ قَوْمِهِ؟، يَزْعُمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا، وَنَحْنُ - يَعْنِي أَهْلُ الْحَجِيجِ، وَأَهْلُ السَّدَانَةِ -!، قَالَ: أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ، فَنَزَلَتْ ﴿إِيَّاكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، وَنَزَلَتْ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّلُوتِ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَلَنُحْجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النِّسَاء: ٥١-٥٢]. وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.



تفسير سُورَةِ الْكَافِرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ﴾ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

أمر الله رسوله ﷺ في هذه السورة أن يُبلغ الكافرين أمراً عظيماً فقال: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ﴾ الباقون على كفركم: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الآلهة في المستقبل، كما أنني لا أعبدُها الآن.

ثم أخبر عن حالهم فقال: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، وهو الله المستحق وحده للعبادة، فعبادتكم إيَّاه وأنتم تُشركون به لا تُسمي عبادةً، ثم كرّر براءته من آلهتهم فقال: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ للدلالة على الثبات، وتأيسهم من عبادته لها، وأخبر عن تحقق تكذيبهم فقال: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ للدلالة على أن ذلك صار وصفاً لازماً لهم: أنهم لا يؤمنون.

فلكلِّ دينه الذي رضيته؛ قال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾؛
 أي لكم دينكم الذي رضيتموه وهو الشرك، ولي ديني الذي رضيته
 لي ربِّي وهو الإسلام.



تفسير سُورَةِ النَّصْرِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾

تضمنت هذه السورة بشارة لرسول الله ﷺ، وإشارة عند حصولها وأمرًا.

فالبشارة هي البشارة بنصر الله له على الكافرين، ووقوع فتح مكة، ودخول الناس في دين الله أفواجًا؛ أي جماعاتٍ تلو جماعاتٍ، وذلك في قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾.

وأما الإشارة والأمر فهي الإشارة إلى دُنُوِّ أجله ﷺ، وذلك في قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾، فإنَّ عُمَرَةَ ﷺ عُمَرُ فاضلٍ أقسم الله به، والأمور الفاضلة تُختم بالاستغفار، كالصلاة والحج، فأمر الله رسوله ﷺ أن يُسَبِّحه مع حمده ويستغفره؛ فيه إشارة إلى انقضاء عمره، لتهيئاً للقاء ربّه، ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

يُوفَّقُ الخلق للتَّوْبَةِ وَيَقْبَلُهَا مِنْهُمْ، فَكَانَ ﷺ يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ، وَيُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي». مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



تفسير سُورَةِ الْمَسَدِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾

أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟»، قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟! فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾.

وأبو لهب من أعمام النبي ﷺ، وكان شديد العداوة والأذية له، فهلك بذلك، وأخبر الله عنه وعن امرأته في هذه السورة فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾؛ أي خسرت يداه، ﴿وَتَبَّتْ﴾ فلم يربح، والجملة الأولى دعاء عليه، والثانية خبر عنه، و﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ وكسبه: ولده، فلن يرد عنه ماله وولده شيئاً من عذاب الله إذا نزل به.

وقد توعدّه الله بقوله: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾؛ أي سيدخل ناراً عظيمةً تتوقّد فيصلاها، ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾، وهي أمٌ جميلٌ التي كانت تحمل أغصان الشجر الكبيرة ذات الشوك، فتلقّيها في طريق رسول الله ﷺ؛ أذيةً له، فأعدّ الله لها في عنقها حبلاً من مسدٍ؛ لقوله مخبراً: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ والمسد: الليف الشديد الخشونة إذا قُتل وجُدل؛ كصفائر الشعر.

وكان نزول هذه السورة قبل موت أبي لهب وامرأته، وأخبر الله أنّهما سيُعذبان في النار، فلن يُسلما، فوقع الأمر كما أخبر ﷺ.



تفسير سُورَةِ الْإِخْلَاصِ

عن أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَيَعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يقرأَ في ليلةٍ ثُلْثَ الْقُرْآنِ»، قالوا: وكيفَ يقرأُ ثُلْثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» ﴿١﴾ تَعْدِلُ ثُلْثَ الْقُرْآنِ. رواه مسلم.

وعن أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ الْمَشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿١﴾ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّكَمُ ﴿٢﴾. رواه الترمذي وغيره، وهو حديث حسن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّكَمُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

لَمَّا كَانَ الدِّينُ مَبْنِيًّا عَلَى الْإِخْلَاصِ؛ أَخْلَصَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ لِنَفْسِهِ، أَمْرًا رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يُبَلِّغَ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ أَيُّ قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ مَبْلَغًا: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْأَحَدُ الْمُنْفَرِدُ بِالْكَمَالِ، الْمَتَفَرِّدُ بِالْأُلُوْهِيَةِ وَالرُّبُوبِيَةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، فَلَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ فِيهَا.

وأنَّه هو ﴿اللَّهُ الصَّكْمُ﴾؛ أي السيّد الكامل المقصود في قضاء الحوائج، فالخلق مفتقرون إليه، وهو مستغن عنهم، ومن كماله ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، فليس له ولد ولا والد، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ فلا يُكافئه أحد في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى.



تفسير

سُورَةُ الْفَلَقِ

عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتِ اللَّيْلَةَ؛ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾» رواه مسلم.

ومعنى «لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ» في الاستعاذة بهنَّ، وكان الرَّسُولُ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا بِالْإِخْلَاصِ وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ، ثُمَّ يَمَسْحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ: يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. رواه البخاري.

وكان ﷺ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوَّذَاتِ وَيَنْفُثُ، وَيَمَسْحُ بِيَدِهِ، وَإِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِهَا. مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)

أمر الله الرَّسُولَ ﷺ في سورة الإخلاص أن يقول مبلِّغًا، وأمره في سورة الفلق والنَّاس أن يقول متعوِّذًا، فقال له هنا: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ أي أَلَجَأُ وَأَعْتَصِمُ؛ ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وهو الصُّبْحُ، ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ الله من المخلوقات، وأريد به بعضها، وهو كلُّ مخلوقٍ فيه شرٌّ.

ثم ذكر بعض أفراد المخلوقات المشتملة على شرٍّ، فقال: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ وهو اللَّيْلُ إذا استحکم ظلامه؛ لما فيه من انتشار الأرواح الشريرة، والحيوانات المؤذية، وعند الترمذي بسندٍ حسنٍ عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نظرَ إلى القمرِ، فقال: «يا عائشة، استعيذي بالله من شرِّ هذا، فإنَّ هذا هو الغاسِقُ إذا وَقَبَ»، فجعلَ القمرَ علامةً له.

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ وهي الأنفس السَّواحر من الرِّجال والنِّساء، اللَّواتي يستعينَّ على سحرهنَّ بالنَّفخ مع ريقٍ لطيفةٍ في العُقَد المشدودة عليه.

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ وهو مَنْ يكره وصول النِّعمة إلى محسوده، استعاذ منه إذا ثار حسده وبرز.

وقد تضمَّنت هذه السُّورة الاستعاذة من أنواع الشُّرور عموماً، ومن أصولها خصوصاً.

تفسير سُورَةِ النَّاسِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾
مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ
النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٦]

مُسْتَهْلُ هذه السُّورَة كسابقتهَا فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ
مَتَعَوِّذًا، فَقَالَ لَهُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ أَيُّ الْجَأِّ وَأَعْتَصِمُ؛ ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾
وَهُوَ سَيِّدُهُمُ الْمَالِكُ وَالْمُصْلِحُ لَهُمْ، ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ وَمِلْكُهُ مِنْ
رَبُوبِيَّتِهِ لَكِنْ أُفْرِدَ لَجَلَالَةِ مَوْقِعِهِ، ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾: مَعْبُودُهُمْ بِحَقٍّ؛
﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ وَهُوَ الشَّيْطَانُ، ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي
صُدُورِ النَّاسِ﴾ فَيُحَسِّنُ لَهُمُ الشَّرَّ، وَيُقَوِّي إِرَادَتَهُمْ لَهُ، وَيُقَبِّحُ لَهُمُ
الْخَيْرَ وَيُثَبِّطُهُمْ عَنْهُ، فَإِذَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ الْعَبْدُ تَأَخَّرَ وَانْدَفَعَ عَنْهُ،
فَالْخَنَّاسُ هُوَ الْمَتَأَخِّرُ الْمُنْدَفِعُ إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ وَاسْتَعَاذَ بِهِ فِي
دَفْعِهِ، وَمَحَلُّ وَسْوَستِهِ: صُدُورُ الْخَلْقِ ﴿مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

